ميـلاد الرسـول(*)

(ﷺ)

دع عنكَ خَمرْكَ يـا نديم الـرَّاح ... إني طـربتُ بخمـرةِ الأفـراحِ(١)
قدْ بِتُّ نَشواناً فهل شهـدَ الملا ... نشـوانَ لمْ يشـرب من الأقـداح
شهرَ الربيعِ حَللت نُوراً سـاطعاً ... يجلو ظـلام الكربِ والأتْـراحِ(٢)
فـرحَ الأنـامُ أمـا رأيتَ قلوبَهمْ ... سَعِـدتْ بنورِ جبينـك الـوضَّاحِ
بـالـروضـةِ الغنَّـاءِ غـرَّدَ بُلبـلٌ ... فـوقَ الغصونِ بصـوتِهِ الصَـدَّاحِ
والكـونُ يملؤُهُ الضيـاء كـأنَّـه ... قدْ لُفَّ من نورِ الهُـدى بوشـاح
للهـدي بـابٌ كـان أُغلق دونَنـا ... والله أرسـلَ فيـكَ بـالمفتـاحِ
حدِّثْ أيا شهرَ الربيعِ ، وصِفْ لنا ... يـومـاً أهـلَّ بـعـطرِهِ الفـوَّاح
يـومـاً بـه ولـدَ الهـدى فضيـاؤُهُ ... قـدْ عمَّ مكَّـةَ من رُبـاً وبـطاح
يـوماً على هـامِ الزمـانِ مُتـوَّجـاً ... فـالكـونُ فيـه أُنيـرَ بـالمصبـاح
هـذا الذي قـد جاءنـا بـرسـالـةٍ ... تَهـدي وتُـرشـدُنـا سبيـل فـلاح
نَشَرَ الهداية في الجهالةِ فانطوَت ... مثـل الظلامِ طـواهُ نـورُ صبـاحِ
لم يُثنِ عـزمَ محمدٍ قـولُ الملا ... قـد نـالَـه مَسٌ من الأرواح(٣)

(*) ألقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في ٣ ديسمبر - كانون أول - ١٩٤٩ وتم نظمها في ٥ ديسمبر ١٩٤٩ (المختارات).

(١) يستهل القصيدة بهذا المطلع الرمزي كما هي العادة عند المتصوفين.

(٢) يقصد به شهر ربيع الأول الذي ولد به رسول الله ﷺ.

(٣) إشارة إلى عرض قريش الملك والمال على رسول الله ﷺ، والتماس الطب إن كان به مس من جنون أأذى من الجن.

أو يستكنْ لمّـا رمـوْهُ لجهلهـم ... فأصيبَ من أحجارهم بجـراح[1]

لك يا ابنَ عبـد الله عزمُ مُثـابرٍ ... تـدعـو بجـدٍ لم يُشَبْ بمـزاح

للهِ أنـتَ لقـد أذوك فـأمعنـوا ... وجَنَـوْا عليـكَ بـغُـدوةٍ ورَواح

قـدْ قـاوَمْتَكَ عِصابـةٌ شـريـرةٌ ... من كـل بـاغٍ مشـرك سَفَّـاح

إذ قمتَ تبني للمنـارِ دعـائمـاً ... وتقيمُ ركنَ الهـدْي والإصلاحِ

فـأتوا بجمـعٍ من شبابٍ طـائش ... قـد دجَّـجـوهُ بعُـدَّةٍ وسـلاحِ

قـالوا لـه اذهبْ فـأتِينَّ بـأحمـدٍ ... فوقَ السيوفِ وفوق سنِّ رماح[2]

لن يستـطيعَ شبـابهُم نيل المُنى ... قَسمـاً بـربّي فـالقِ الإصبـاحِ

فسـلاحُهم غـدرٌ وبغيُ جَهـالـةٍ ... وسـلاحُـهُ نـصـرٌ من الـفَتَّـاح

في جنـةِ الرضـوانِ قوم قَـد أبَـوْا ... إلا الصُّمـودَ أمـامَ كـلِّ ريـاح

قد أُشربوا كأس العذابِ فلم تَلِنْ ... منهم قنـاةُ عـزيمـةٍ يـا صـاح

فحـديثُ عمارٍ ومنْ في الله قـد ... ذاقَ العَنا والظلمَ كـابنِ رَباح[3]

قدْ فاهَ بالتوحيدِ لم يشكُ الأسى ... إذ عـذَّبـوه ولم يَفُـه بنـواح[4]

فهـو الجديـر بـأن يكـونَ مُؤذِّنـاً ... في يـومِ كُلِّلَ سعيُهم بـنجـاح

ألقتْ قريشُ، وأيقنَتْ بهلاكهـا، ... سيفَ الضَّـلالـةِ، دونَ أيِّ نُبـاح

لمـا تقـدمَتِ الكتـائبُ نحـوَهـا ... مـا بينَ تكبيـرٍ وبيـن صيَـاح

---

(١) إشارة إلى تعذيب المشركين وايذائهم لرسول الله ﷺ بالطائف.

(٢) إشارة إلى تآمر قريش على قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة.

(٣) عمار بن ياسر وبلال بن رباح. رضي الله عنهما.

(٤) وردت الأبيات في المختارات:

وبـلال مَنْ كبلال قـد ذاق العنـا ... في الله قد عُذبتَ يـا ابن رباح؟

ونطقت بالتوحيد لم تشك الأسى ... إذ عـذبـوك ولـم تفـه بـنـواح

فجـزاء مثلك أن يكـون مؤذنـاً ... في يـومِ كلل سعيكم بـنجـاح

ويشير في البيت إلى قول بلال: أَحد أَحد. كلما عذبه الطاغية أمية بن أبي خلف. [المختارات]

جَـزِعَ البُغاةُ من الـرسـولِ لأنَّهم كـمْ أتـبـعـوه بـشـدَّةٍ وكـفـاح
فـرِحـوا فمـا فُـوْهُ أهـلَ عـداوةٍ بَـلْ أهـلَ مغفـرةٍ وأهـلَ سمـاح
بَسط السلامُ على الربوع جناحه لمـا أضاءَ الكـونَ نـورُ المـاحي
عَرفوا الطريق إلى الرشاد وأدركوا بـالهـدي كـلَّ مُحـرَّمٍ ومُبـاح
اللهُ أكـبـرُ قـدْ أعـزَّ جـنـودَه والبُطْلُ قدْ أضحى بغير جناح[1]

* . * . * . * . *

(١) كان الشاعر يضع الأفكار الرئيسية للأبيات إذ قسم القصيدة إلى ما يلي: الافتتاحية ـ بهجة الربيع ـ مناجاة ـ صبر السول وثابته ـ كيد المشركين له ـ ثبات أتباعه عليه السلام ـ عفوه ـ الخاتمة.
كما ورد في إحدى المجموعات.